

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم النبيين .
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له . وأشهد أن محمداً عبده ورسوله . و بعد :

مقدمة:

إن من نعمة الله علينا أن أكمل لنا الدين وأتم لنا النعمة. وأرسل إلينا رسولاً رحيماً بآمته. فما من خير إلا ودلنا عليه. وما من شر إلا وحذرنا منه ﷺ ، ولقد كان من جملة الخير الذي دلنا عليه آداب شملت كثيراً من أمور الدين والدنيا ، فالعبادات لها آداب ومخالطة الناس لها آداب والتعامل مع النفس له آداب ، والآداب هو الدين كله .

والآداب منها ما هو مستحب أو مكروه . ومنها ما هو واجب أو محرم ، ومنها ما هو مباح .

ولذلك اعتنى الإسلام بهذا الجانب وصنف أهل العلم كثيراً من الكتب والمصنفات ، وفي كتب السنة والحديث كتب أبواب للآداب بل وقد أفرد البخاري رحمه الله كتاباً في الآداب سماه (الآداب المفرد) جمع فيه الأحاديث والآثار المتعلقة بالآداب .

ولا شك أن الآداب في الإسلام مهم جداً وينبغي للمسلم أن يعتني بالآداب الشرعية في جميع الأمور .

ونظراً لجهل كثير من المسلمين منزلة الآداب ومراتبه وأنواعه وطرق اكتسابه وغير ذلك من الأمور ، ولأن الآداب الشرعية تشمل العالم والمتعلم والرجل والمرأة والكبير والصغير والغني والفقير وغيرهم ، وحشاً وترغيباً لنا في اتباع هدي وآداب النبي ﷺ في أقواله وأفعاله وصفاته وأخلاقه . نتكلم عن هذا الموضوع المهم.

فما هو تعريف الآداب؟ وما هي منزلته وفضله ؟ وما هي حاجتنا إلى الآداب ؟ وما هي مراتبه وأنواعه ؟ وكيف نكتسب الآداب الشرعي؟ وفي هذا البحث الموجز نجيب على هذه الأسئلة وغيرها إن شاء الله تعالى.

١- تعريف الآداب : قال السيوطي في لسان العرب : (الآداب : الذي يتأدب به الأديب من الناس ، سمي أديباً لأنه يأدب (يدعو) الناس إلى الحمائم وينهاهم عن المصايح) . **وقال ابن القيم في مدارج السالكين :** (الآداب : اجتماع خصال الخير في العبد ومنه المادية وهي الطعام الذي يجتمع عليه الناس) **وقال أيضاً :** (وحقيقة الآداب استعمال الخلق الجميل) **ثم قال :** (قال بعض العلماء : الآداب هو استعمال ما يجمل من الأقوال والأعمال والأحوال) **وقال بعضهم :** (الآداب هو أن تكون على تعاليم الكتاب والسنة ظاهراً وباطناً) **وقال ابن القيم رحمه الله :** (الآداب هو الدين كله فإن ستر العورة من الآداب ، والوضوء وغسل الجنابة من الآداب ، والتطهر من الخبث من الآداب ...) **مدارج السالكين .**

والخلاصة أن الآداب هو اجتماع خصال الخير في العبد وفق الكتاب والسنة ظاهراً وباطناً . فإذا أراد المسلم أن يكون مؤدباً فعلياً أن يلتزم بالكتاب والسنة في عقيدته ومنهجه وعبادته وأخلاقه وأفعاله وأقواله وصفاته ظاهراً وباطناً .

٢- منزلة الآداب وفضله : قال ابن القيم رحمه الله : (الآداب هو الدين كله) فمنزلة الآداب هي منزلة الدين عند العبد ، **وقال رحمه الله :** (آداب المرء عنوان سعادته وفلاحه ، وقلة أديه عنوان شقاوته وبواره ، فما استجلب خير الدنيا والآخرة بمثل الآداب ، ولا استجلب حرمانها بمثل قلة الآداب ، فتأمل أحوال كل شقي ومُدبر كيف تجد قلة الآداب هي التي ساقته إلى الحرمان) **مدارج السالكين .**

فمنزلة الآداب عظيمة ولذلك قال عبد الله ابن المبارك رحمه الله : (من تهاون بالآداب عوقب بحرمان السنن ومن تهاون بالسنن عوقب بحرمان الفرائض) ذكره ابن القيم في مدارج السالكين .

٣- حاجتنا إلى الآداب : المجتمع المسلم بحاجة ماسة إلى سلوك الآداب وتحقيقه بين الأفراد للأسباب التالية :

أ - إذا تصف الناس بمراعاة الآداب بينهم ، حصل الاطمئنان والأمن بينهم . فحقوقهم مكفولة وسمعتهم محترمة ومكانتهم محفوظة ، فيطمنون على أنفسهم .

ب - الآداب ينزع الأحقاد من صدور الناس : فإذا التزم الناس بالآداب الشرعية صفت النفوس فسادت الأخوة والمحبة والألفة للمجتمع .

ج - الآداب طريق العلم النافع : فطالب العلم لن ينال العلم وبركته بدون آداب . وقد حذر السلف كثيراً من طلب العلم بدون آداب .

قال الإمام البوشنجي الفقيه المالكي (ت: ٢٩١هـ): (من أراد العلم والفقه بغير آداب فقد اقتحم أن يكذب على الله ورسوله) سير أعلام النبلاء (١٢/٥٨٦) للذهبي .

قال بكر أبو زيد في حلية طالب العلم ص ٦ : (لقد تواردت موجبات الشرع على أن التحلي بمحاسن الآداب ومكارم الأخلاق سمة أهل الإسلام وأن العلم لا يصل إليه إلا التحلي بأدابه المتخلي عن آفاته) .

فالآداب مهم جداً للفرد والمجتمع وخاصة طالب العلم .

٤- مراتب الآداب : تتفاوت مراتب الآداب بحسب المتأدب معه ، فليس الآداب مع الله كالآداب مع أنبيائه ، وليس الآداب مع رسول الله كالآداب مع سائر الناس ، وليس للتعامل مع

الناس آداب واحد بل للوالدين آداب خاص وللعلماء والكبار آداب خاص ، وهكذا. وكذلك للتعامل مع النفس آداب ، فمراتب الآداب أربعة هي :

(أ) الآداب مع الله .

(ب) الآداب مع رسول الله .

(ج) الآداب مع الناس .

(د) الآداب مع النفس .

(أ) الآداب مع الله عز وجل : فهو رأس الأمر وعموده وأهم ما يقدمه العبد في دنياه . قال ابن القيم رحمه الله (الآداب مع الله ثلاثة أنواع :

أحدها : صيانة معاملته أن يشوبها بنقيصة .

الثاني : صيانة قلبه أن يلتفت إلى غيره .

الثالث : صيانة إرادته أن تتعلق بما يملكه عليه) .

ثم قال : (ومن الآداب مع الله عدم رفع البصر إلى السماء في الصلاة لنهي عن ذلك ، ومن الآداب مع الله : أن لا يستقبل بيته ولا يستدبره عند قضاء الحاجة في الفضاء والبنيان ، ومن الآداب مع الله : السكون في الصلاة وعدم الالتفات فيها والاستماع للقراءة في الصلاة . والمقصود أن الآداب مع الله تبارك وتعالى هو القيام بدينه والتأدب بأدابه ظاهراً وباطناً ، ولا يستقيم لأحد قط الآداب مع الله إلا بثلاثة أشياء : معرفته بأسامائه وصفاته ، ومعرفته بدينه وشرعه وما يجب وما يكره ، ونفس مستعدة قابلة متهيئة لقبول الحق علماً وعملاً) **مدارج السالكين .**

قلت : ما الذي يرجى في الآخرة من رجل أساء أدبه مع الله تبارك وتعالى وهل يرجى من مسيء الآداب مع الله أن يحسن أدبه مع خلقه؟

(ب) الآداب مع رسول الله ﷺ : قال ابن القيم رحمه الله (وأما الآداب مع الرسول ﷺ فالقرآن مملوء به ، فرأس الآداب معه كمال التسليم له . والانقياد لأمره ، وتلقي خبره بالقبول والتصديق دون معارضته بالعقل أو الشك أو يقدم عليه آراء الرجال ، فيوحده بالتحكيم والتسليم والانقياد والإذعان كما وُعد الله تعالى بالعبادة والخضوع والذل والإنابة والتوكل ، ومن الآداب مع الرسول ﷺ أن لا يتقدم بين يديه بأمر ولا نهي ولا إذن ولا تصرف ، حتى يأمر هو ، وينهى ويأذن كما قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْدُمُوا عَلَى يَدَيْهِ ﴾ [الحجرات : ١] ومن الآداب معه أن لا ترفع الأصوات فوق صوته فما الظن برفع الآراء على سنته !! ومن الآداب أن لا يعارض نصه بقياس ، ولا يحرف كلامه عن حقيقته ، ولا يوقف قبول ما جاء به على موافقة أحد ، فكل هذا من قلة الآداب معه ﷺ وهو عين الجبراة ...) **انتهى كلامه من مدارج السالكين .**

(ج) الآداب مع الخلق : فلا بد من أن يعامل كل واحد بما يليق به ، ومن خلق الله الملائكة . وعلى المسلم أن يتأدب معهم . ومن الآداب مع الملائكة محبتهم وموالاتهم ، ومن الآداب مع الملائكة : البعد عن الذنوب والمعاصي والروائح الكريهة لأنها تتأذى مما يتأذى منه ابن آدم ، ومن الآداب معهم الامتناع عن كل ما يمنع قرب الملائكة أو دخولهم بيوتنا أو حضورهم مجالسنا مثل الصورة والتماثيل والكلب والجرس وكذلك لا تقرب الملائكة سكرانا أو جنباً إلا أن يتوضأ ، ومتشبهها بالنساء وغيرهم .

قلت : ولنا محاضرة وبحث بعنوان (موقف الملائكة من البشر) ضمن المجموعة السابعة .

حاجتنا إلى

الآداب الشرعية

للسنة
الإمام بن عبد الله الزوي



* الآداب الشرعية لابن مفلح الحنبلي توفي سنة (٧٦٢هـ) في ثلاثة مجلدات .
* الآداب المفرد للإمام البخاري رحمه الله صحيح الآداب المفرد للألباني رحمه الله .
* غذاء الألباب لشرح منظومة الآداب للسفارياني توفي (١٨٨هـ) في مجلدين .
* أخلاق النبي ﷺ وأدابه للحافظ بن حبان الأصبهاني (توفي ٣٦٩هـ) . محقق في أربعة مجلدات .
* كتاب الآداب لفؤاد بن عبد العزيز الشلهوب مجلد واحد .
* زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم (توفي ٧٥١هـ) في خمسة مجلدات .
* ومن الكتب ما أفرد أبواباً وكتباً ضمن الكتاب مثل كتب الآداب في كتب الحديث المشهورة .
* ومن المصنفات في آداب معينة مثل آداب طلب العلم وهي كثيرة منها .

هذا ما تيسر جمعه .

وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين



٢- ومن طرق اكتساب الآداب ، النظر في قصص القرآن وكتب الحديث والسيرة لمعرفة هدي وآداب رسول الله ﷺ ، والالتزام بمجالس ودروس أهل الحديث لأنهم أعلم الناس بآداب رسول الله ﷺ ، كذلك النظر في ميراث أسلافنا من الصحابة والتابعين والأئمة المشهورين بالآداب والورع والدين ومن أهم الكتب في سيرهم كتاب . (سير أعلام النبلاء) للإمام الذهبي رحمه الله (٢٥ مجلداً) .

٣- تعليم الناس وتذكيرهم دوماً بأهمية الآداب في حياتهم وخطورة تركه وإهماله .- ويتحقق ذلك بإقامة الدروس والمحاضرات والخطب في ذكر الآداب الشرعية بالادلة الصحيحة .

٤- قراءة الكتب والمصنفات التي أفردت لأبواب الآداب لمعرفة الآداب الإسلامية والعمل بها ونشرها بين الناس . وسيأتي ذكر بعض الكتب آخر البحث .

٥- مصاحبة المرثين والعلماء وطلبة العلم الملتزمين بالآداب .

٦- ومن طرق اكتساب الآداب : توقّي الآداب المردولة في الأفراد والمجتمعات .

٧- مجاهدة النفس وتربيتها على الآداب الشرعية .- ولذلك قال ﷺ : « إنما العلم بالتعلم ، وإنما الحلم بالتحلم ، ومن يتحرّ الخير يعطه ، ومن يتق الشر يُوقه » صحيح الجامع الصغير (٢٣٢٨) . فإذا سلك المؤمن طرق اكتساب الآداب مع الإخلاص وفقه الله تعالى .

٦- كتب ومصنفات في الآداب الشرعي : أما الكتب التي ذكرت الآداب فهي على أنواع منها ما صنف كاملاً في الآداب مثل :

* لباب الآداب لأسامة بن منقذ رحمه الله توفي سنة (٥٨٤هـ) .

قلت : والخلاصة أن الآداب مع النفس الزامها والسير بها على هدي النبي ﷺ في جميع سيرته وأقواله وأفعاله وهديه ظاهراً وباطناً .

إذا علم هذا فينبغي للمسلم أن يضع هذه المراتب والأنواع الأربعة للآداب نصب عينه دوماً : الآداب مع الله عز وجل ، والآداب مع رسول الله ﷺ ، والآداب مع الخلق والناس ، والآداب مع النفس . ومن ثم يحرص على بلوغ الدرجة العليا في كل هذه المراتب ليسعد في الدنيا والآخرة .

٥- طريق اكتساب الآداب : بعد أن علمنا حاجتنا إلى الآداب وأهميته وفضله وأنواعه ، فكيف السبيل إلى اكتسابه والتخلق به في مجتمعات المسلمين وفي أفرادهم ؟

١- تربية الأولاد على الآداب منذ الصغر : وهذا واجب الوالدين والأساتذة في البيت والمدرسة ، قال عبد الملك بن مروان رحمه الله لمؤدب ولده (علمه الصدق كما تعلمه القرآن ، واحملهم على الأخلاق الجميلة وجالس بهم أشرف الناس وأهل العلم منهم فإنهم أحسن الناس ورعاً وأحسنهم أدباً ، واضربهم على الكذب وجنبهم شتم أعراض الرجال ، واحملهم على صلة الأرحام ، واعلم أن الآداب أولى بالغلام من النسب) لباب الآداب ص ٢٠٣

قد يتفح الآداب الأحداث في صغر وليس يتفح عند الشبيبة الآداب إن الغصون إذا قومتها اعتدلت

ولا يلين إذا قومته الخشب
قال مالك رحمه الله : (كانت أمي تغممني وتقول لي: اذهب إلى ربيعة فتعلم منه آدابه قبل علمه) ترتيب المدارك للقاضي عياض رحمه الله.

كذلك لابد أن يعامل الناس كل واحد بما يليق به . فهناك آداب التعامل مع الوالدين وآداب مع الأرحام وآداب مع الجار المسلم وآداب مع العلماء وآداب مع ولاة الأمر وآداب مع الضيف وآداب مع الأولاد وآداب بين الزوجين وآداب مع عامة المسلمين وآداب مع المخالفين من أهل البدع والفاستقين وكذلك وآداب مع غير المسلمين . **قال ابن القيم رحمه الله :** (أما الآداب مع الخلق فهو معاملتهم بما يليق بهم على اختلاف مراتبهم ، فلكل مرتبة آداب ، والمرتبات فيها آداب خاصة ، فمع الوالدين آداب خاص ، وللأب منهما آداب هو أخص به ، ومع العالم آداب آخر ومع السلطان آداب يليق به ومع الضيف آداب غير أدبه مع أهله ، ولكل حال آداب : فلأكل آداب....) **ثم قال :** (وآداب المرء عنوان سعادته وفلاحه ، وقلة أدبه عنوان شقاوته وبواره ...) **ثم قال :** (ومن حقوق الخلق أن لا يفرط في القيام بحقوقهم ، ولا يستغرق فيها بحيث يشتغل بها عن حقوق الله أو عن تكميلها ، أو عن مصلحة دينه وقلبه ...) انتهى كلامه من مدارج السالكين .

(د) الآداب مع النفس : وآداب الإنسان مع نفسه متنوع متفاوت كذلك ، فمن الآداب مع النفس السعي إلى تركيبتها وإصلاحها ومحاسبتها وتدريبها على الطاعات والأخلاق ، ومن الآداب مع النفس حثها على التوبة والإنابة والخشية وغيرها ، وكذلك من الآداب مع النفس تدريبها والزامها على الآداب الشرعية . قال ابن القيم رحمه الله : (فلأكل آداب وللشرب آداب وللكوب آداب والدخول والسفر والإقامة والنوم آداب ولقضاء الحاجة آداب وللسكوت والاستماع آداب...) **مدارج السالكين منزلة الآداب رقم (٣٧) .**